

الباب الأول

النظرة العامة عن الدولة الاموية

الفصل الاول

الحالة السياسية في العصر الاموي

عرفت الحياة السياسية في العصر الاموي الكثير من الاضطرابات والفتن، اذ أن الغالبية من الامة كانوا يعتقدون بأن الامويين مغتصبون للخلافة، وقد اكتسبت مدینیتا مکة والمدینة، صبغة جديدة. فقد كان يفد الى المدینة- العاصمة المهجورة- كثيرون من معتزلي السياسة، وطالبي الراحة، ليكونوا بعيدين عن الضوضاء والاضطراب، ولينتعموا بما اغدقته عليهم الفتوحات من فی، وما حظوا به من ثروة وجاه وكانت الشام عکس الحجاز تماما. فقد كانت هادئة مطمئنة. الا ان احزابا سياسية ثلاثة، كانت تضمر الحقد لدمشق عاصمة الامويين، وتوزع التابعين لهم في دعوة الى الانتفاض على الخليفة، وهذه الاحزاب هي: الزبیريون، والخوارج، والشيعة. فالزبیريون كانوا يکنون الحقد لمعاوية ومن

ورثه، وكانوا يرون ان يتولى الخلافة احد ابناء الصحابة. أما الخوارج فكانوا يرون ان احقية الخلافة تعود الى العرب المسلمين جمیعا. بينما رأى الشيعة، ان تعود الخلافة الى بنی هاشم، فهم اولى بها من غيرهم. وقد دعا ابن الزبیر لنفسه بالخلافة بعد وفاة معاویة، فتعاطفت معه الحجاز ومصر والعراق واجزاء من البلاد الشامية، واحس مروان بن الحكم (٦٢٣-٥٦٥م).

ان الخلافة تكاد تضيع منه بعد وفاة معاوية بن ابى سفيان (٢٠ ق.هـ - ٦٠٣ هـ / ٦٨٠ م) فقصد الشام، وحارب قبائل قيس بمساعدة كلب والقبائل اليمنية، وانتصر عليها في موقعة مرج راهط المشهورة ثم استولى على مصر، وتولى ولده عبد الملك بن مروان (٢٦-٨٦ هـ / ٦٤٦ - ٥٠٧ م) الخلافة.^١ فقتل مصعب بن الزبير (٢٦-٧١ هـ / ٦٤٧ - ٦٩٠ م) والي أخيه عبد الله بن الزبير (١-٥٧٣ هـ / ٦٢٢-٦٩٢ م) الذي حاصره الحجاج بن يوسف الثقفي (٤٠-٩٥ هـ / ٦٦٠-٧١٤ م) وقتلته، واذا كانت مدة محاربة الزبيرين لم تدم اكثر من ثمانى سنوات، كي تدعم جوانبها السياسية، فإن حزبى الخوارج والشيعة، اتيح لكل منهما ان يدعم نظريته في الخلافة، وان يسندها بالأدلة البيينة، لكونهما حزبين ثابتين

^١ عبد الجيد الحمر، جريدة جريدة، ص: ٢٤

مستقررين، وليسوا حزبين عارضين وتمسی الذين خرجنوا على على بن ابی طالب (...-٤١ھ/٦٦١-٦٠٠م) بالخوارج، لأنهم خرجنوا على امامهم الذى بايعوه وهو على. وأساس مبادئهم ان لا تقتصر الخلافة على قريشى، بل هي حق الله. واستمرت حربهم طيلة عهد بنى امية ويعرف عنهم انهم كانوا سرعان ما يختلفون ويفترقون. وكلما اتفقوا على امام، وانقسموا الى اربعة فرق هي: الأزارقة وهم اتباع نافع بن الازرق (...-٦٥ھ/٦٨٥-...) ثم جعونة بن مازن (...-٧٨ھ/٦٩٧-...) المعروف بقطري بن الفجاءة. وأهم مراكزهم البطائح بالقرب من البصرة. وقد استولوا على فارس وكسرمان. وودّخوا عبید الله بن زیاد (٢٨-٦٤٥ھ/٦٨٦-٦٤٨م) والي معاوية وابنه یزید (٢٥-٦٤٥ھ/٦٨٣م) امّا النجدات فهم اتباع نجدة بن عامر الحنفي (٣٦-٦٩٥ھ/٦٨٨م). وكان مسرح نشاطهم اليمامة وحضرموت والبحرين. ورماهم الحجاج بعمر بن عبید الله بن عمر (...-٦٥٠ھ/...) فهزّهم وقضى عليهم. واما الصغرية فهم اتباع زیاد بن الاصغر: وكان مسرح نشاطهم الموصل وببلاد الجزيرة،

واما الإباضية، فهم اتباع عبد الله بن أبياض التميمي (...-٥٧٠هـ) وكان مسرح نشاطهم حضرمون واليمن.^٢
اما الحالة السياسية فترجع الى تشجيع حكام بني امية لصرف الناس عن التفكير في السياسة والحكم فقد كانت سياستهم في بيئه الحجاز صرف ابناء المهاجرين والانصار عن المطالبة بالخلافة وذلك بمدتهم بالاموال والجواري والرقيق وتهيئة جو السعادة المرح بالغناء والموسيقى، أما سياستهم في بيئه العراق فكانت بصرف الناس وتسليتهم بالنقائض.

ومن الشعراء المشهورين الذين هاجهم حرير الراعي النميري
فقد استماله عرارة النميري نديم الفرزدق.^٣

وقال احمد حسن بسبع في كتابه "الاخطل": بأن حالة السياسية تبدأ بعد عهد الراشدين، وقبله العهد النبوى، عهد التأسيس، وفتحات، يأتي العصر الأموي، لتكتمل فيه صورة الدولة، بالمفهوم الذى عرف فى بلاد الروم وبلاد فارس.

وبعد ان كان نظام الحكم شورى، صار ملكيا وراثيا، ایام معاویة الذى اوصى لابنه يزید بالملک من بعده، وانحدر له البيعة عن

^٢ عبد الجيد الحمر، نفس المرجع، ص: ٢٥

^٣ محمد عبد القادر احمد، ادب ونحو واصوات العصر الاموي، ص: ٥٩

رضى او عن كره، مما اثار جهات كثيرة معارضة، فلم تباع، خصوصا ان اولئك المعارضين كانوا قد سكتوا على مضض طيلة خلافة معاوية. وكانوا يرون ان هذا الأخير قد اغتصب الخلافة من ابناء الامام على، وكانت من حقهم، فالانشقاق الذي قاده معاوية في صفين ادى الى بروز ثلاث طوائف سياسية متنافسة: فئة وقفت مع على ودافعت عن الخلافة الشرعية، وعنيت بها اهل العراق والنجاش بالدرجة الاولى، وفئة حاربت مع معاوية وهي تمثل باهل الشام. اما الفئة الثالثة، فأولئك الذين خرجن يوم التحكيم على الإمام على، ولم يقبلوا بما حصل وهم الخوارج، واتخذوا من شرقى العراق مقرا لهم.

اما الفئة الاولى، فهي التي عرفت باسم الشيعة، الذين اصرروا على معارضة الامويين، بعد وفاة معاوية، فاستدعوا الحسين بن على الى الكوفة - وكانت عاصمة والده- ليبايده، فلبى طلبهم، ولما وصل الى كربلاء التقاه رجال يزيد وقتلوه مع جماعة من اهل بيته. وكذلك الامر مع المعارضين الاخرين من الصحابة فقد بايع عبد الله بن عمر، ولم يبق الا عبد الله بن الزبير، الذي اعلن نقه

خليفة من مكة المكرمة، وقد بايعت له الجزيرة العربية وال العراق
واليمن ومصر وبعض اطراف الشام.^٤

وقد حاول يزيد إخضاع ابن الزبير، فأرسل جيشاً إلى المدينة بقيادة مسلم بن عقبة المري، فقاتل أهل المدينة في معركة الحرة واستباحها جند يزيد ثلاثة أيام قتلاً ونهباً، وقد ذكر أنه قتل في هذه الواقعة سبعمائة من الصحابة الكرام، مما ترك أسوأ الآثار في النفوس، فازدادت الأحقاد، وقد رثى الشعراء قتلى يوم الحرة رثاءً حاراً. ثم تابع الجيش طريقة إلى مكة وفي طريقه مات مسلم بن عقبة، فتولى^٢ القيادة مكانه الحصين بن نمير السكوني، فحاصر البلد الحرام، ولكنه لم يلبث أن فُكَّ الحصار وعاد إلى الشام عند وفاة يزيد سنة ٦٤ هـ.

كانت دعوة ابن الزبير، في هذه الاثناء، تتسع وتنشر، فدخلت في طاعته اقاليم جديدة منها خراسان، وازداد حنق الناس وغضبهم على بنى امية اينما كانوا. وفي الوقت ذاته، ظهرت في العراق، وتحديدا بالكوفة، دعوة شيعية يقودها المختار الثقفي، حيث دعا الى مبايعة احد ابناء الامام علي وهو محمد بن الحنفية، انتهت هذه الحركة بان عزل ابن الزبير والى الكوفة وعيّن اخاه مصعبا

^٤ احمد حسن بسبح، الاختزل، ص: ٧

عليها فقتل المختار الثقافي، كل هذه الاحداث سجلها الشعرا
حسب منطلقاتهم واهوائهم.

^٩ أحمد حسن بسباع، نفس المرجع، ص:

الفصل الثاني

الحالة الاجتماعية في العصر الاموي

اما الحالة الاجتماعية فمردها حاجة المجتمع العربي خاصة في البصرة الى ضرب من الملاهي يقطع به الناس اوقاتهم الطويلة كما كان اهل المدينة ومكة يتسلون بالغناء. وقد انبرى الهجاءون في العراق يملأون اوقات الناس بأهاجيهم وسرعان ما تحولوا بها الى نقاءض مثيرة. وقد كان لتشجيع جماهير العرب وحثها للشعراء على المزيد الاثر الكبير في نمو هذا الفن وتطوره فقد وجدت الجماعة في هذا الشعر ما يسليها ويلهيها ويقطع اوقات فراغها خاصة في مدینتی البصرة والكوفة حيث القبائل العربية : استقرت فيهما، وكان عندها من الثراء والمال الذى غنمته من الفتوح الاسلامية ما اغناها عن البحث عن اسباب الحياة والسعى وراء مئونة العيش. كذلك تكفلت دواوين الحكومة والدولة بدفع الاموال لأولئك الفقراء من العرب مما جعلها في حاجة الى ضروب من اللهو تملأ بها جانبا من فراغها العريض، فقام شعراء البلدين بهذا الدور وتحولوا سوقا المربي في البصرة والكناسة في الكوفة الى سوقين

ادبيتين ينشر الشعراً فيهما يومياً قصائد الهجاء التي تسر الجماعة
وتسرى عنها وتستغرق اوقات فراغها.^٧

وتذهب بعض المؤلفات الحديثة الى ان شعراء النقائض كانوا يقومون بها على انها شيء يقصد به الى التسلية اكثر مما يقصد به الى السباب والتخاصم.

ويدخل في الحالة الاجتماعية عودة العصبية القبيلية مرة اخرى
فبعد ان كان الاسلام قد خدرها في عهد النبوة والخلفاء الراشدين
وتجدناها منذ فتنة عثمان بدأت تدب فيها الحياة فتظهر جزعة من
جديد.

وَظَلَّتْ تَأْجِجُ نَيْرَانَهَا طَوَالْ عَصْرِ بَنِي اَمِيَّةٍ حَتَّى فِي اَقْصَى
الشَّرْقِ فِي خَرَاسَانَ وَفِي اَقْصَى الْغَربِ فِي الْاَنْدَلُسِ.

وكان لسياسة بنى امية اثر كبير في احياء هذه العصبيات واثارتها ليصرفوا الناس عن المطالبة بالخلافة والنظر في سياستهم كما اسلفنا فأثاروا عصبية العرب ضد العجم والموالي، وعصبية العدنانية على القحطانية، وعصبية بنى امية على بنى هاشم، وعصبية القبائل الموالية لهم على المناوئة، وكانوا يبذلون العطاء لاثارة هذه العصبيات، وكان من نتيجة ذلك ان اطمأنت الدولة

^٦ محمد عبد القادر احمد، أدب ونحو واصطلاح العصر الاموي ، ص: ٦٢

سياسيا، ولكن هذا الاطمئنان لم يدم طويلا فقد نخرت العصبية في نظام الدولة بعد ذلك فهدمت اركانها، وعجلت بسقوطها.^٧

اما عن رثاء جرير للفرزدق فلم يكن رثاء نفس صافية حزنة على فقد عزيز ففاضت تعب عن مصابها بالحسرة والألم إنما كان رثاء حاليا من حرارة الانفعال وصدق العاطفة، بل ان جريرا عن ما علم بموت الفرزدق هجاه فلما عيب على ذلك لأنه هجا ميتا، رثاء لأن المهاجر بن عبد الله الكلابي لفت نظرة الى ان هجاءه سيجر عليه الخزي والعار، اما رثاؤه س يجعل العرب تصفه بالكرم وتعده أشعر الشعراء، وهذا يدل على حب جرير لنفسه، ورغبته في أن يذكر يخير فهو اذن مشغول بنفسه اكثر مما هو مشغول بصاحبها، متثبت بأطراف المجد، ولو كان زائفا مصطنعا اكثر مما هو متثبت بالكرم والوفاء وغيرها من صفات المرأة والخير في الاغانى على النحو التالي: نعي الفرزدق الى المهاجر بن عبد الله وجرير عنده فقال:

مات الفرزدق بعد ما جدعته # ليت الفرزدق كان عاش قليلا
فقال له المهاجر: بئس لعمر الله ما قلت في ابن عمك!
أتهجو ميتا! أما والله لو رأيته لكنت أكرم العرب وأشعرها. فقال:
ان رأي الامير ان يكتمها على فإنها سؤة.^٨

^٧ محمد عبد القادر أحمد، نفس المرجع، ص: ٦٥

ظهر في الدولة الاموية الطبقات الاجتماعية، فتنقسم الى اربع طبقات هي: طبقة المسلمين وهي الطبقة الحاكمة، وطبقة الموالي، وطبقة اهل الذمة، وطبقة الرقيق. فالطبقة الحاكمة هي الطبقة الارستقراطية، وعلى رأسها اسرة الخليفة، والارستقراطية المؤلفة من العرب الفاتحين. وعلى الرغم من ان عاصمة الخلافة (دمشق) كانت قد اصطبغت في آخر العهد الاموي بصبغة الاسلام، فان سورية بوجه عام ظلت محافظة على صبغتها النصرانية حتى القرن الثالث للهجرة. ولقد حافظت المدن الصغيرة والقرى بنوع خاص المناطق الجبلية، مأوى المعلين والمغضوبين على طابعها الوطني، ومميزات حضارتها القديمة. وقد بقي لبنان نصراني المذهب سريانى اللغة الى ما بعد الفتح بأجيال طويلة. ولم يقرر الفتح فيه الا امرا واحدا، هو انتهاء النزاع الحزبي. أما من حيث الدين والجنس والاجتماع وبنوع اهم اللغة، فإن هذا النزاع في الواقع، لم يبدأ الى بعد انتهاء الفتوح. وطبقة الموالي كانت تتمتع ولو اسما، بحقوق الرعوية الاسلامية. وقد قامت الأثرة العربية سدا منيعا في وجه تلك الحقوق، وحالت دون تطبيقها. وشعر الموالي انهم احاط الطبقات الاجتماعية في البيئة الاسلامية، فاستنكروا هذا الوضع وانحدروا

^٨ محمد عبد القادر أحمد، نفس المرجع، ص: ٦٤

يناصرون كل حركة تقوم ضد الحكم الاموي. وطبقة اهل الذمة، شملها أمان الاسلام وعهده، وتمتعت بقسط وافر من الحرية لقاء تأدیتهم الجزية والخراج. وارتبطت قضيایها في الامور المدنية والجنائية والقضائية برؤسها الروحیین، الا اذا كانت القضية تمسّ المسلمين.^٩ اما الشريعة الاسلامية فلم تطبق عليهم، لأنها لم توضع لهم. وفي الاماكن المنيعة كأرجاء لبنان، بقيت للنصارى السيطرة، بحيث استطاعوا ان يتخدنو خلفاء بنى امية، حتى عبد الملك نفسه. و كانوا حتى استخلاف عمر بن عبد العزيز يعاملون بالحسنى. وكانت ميسون زوجة معاوية نصرانیة وكذلك شاعرة. اما الطبقة الرابعة، وهي طبقة الرقيق، فكانت نت حباس شتى، فمنهم الاسود من افريقيا. ومنهم الأصفر من فرغانة او تركستان الصينية. ومنهم الأبيض من الشرق الأدنى او شرقي اوروبا وجنوبها. ونصت الشريعة الاسلامية، ان مولود الامة من غير سیدها عبد، سواء أكان الوالد عبدا أم حرا. وكذلك يحسب ولدها من سیدها ما لم يعترف بيئوته. أما اولاد العبد من زيجة حرة فأحرار. ولم يكن غريبا ان يقتني الامير الاموي من الحشيم ألف عبد يقومون على خدمته.

عبد المجيد الحمر، جريدة، ص: ٣٠

^{١٠} عبد المجد الحمر، نفس المرجع، ص: ٣١.

الفصل الثالث

الحالة الأدبية في العصر الاموي

كانت مظاهر الادب في العصر الاموي اربعة: الشعر، والخطابة، والترسل ثم الرواية التي ادت الى التأليف.

اما الشعر فقد عاد اشبه بالشعر الجاهلي في اسلوبه في كثير من اغراضه، ثم كان الجانب الأكبر منه وقفا على السياسة الخزالية العصبية، كما كان جانت كبير جاهلية، بينما اصبحت اغراضها اسلامية بحثا لصلتها الوثيقة بالدولة الاسلامية، واما الترسل فكان الفن الذي استجد في العصر الاموي، او الفن الذي اصبحت له، في ذلك العصر، حدوده وشروطه الثابتة وخصائصه المميزة على الاقل.

وكثرة الرواية في العصر الاموي: رواية الحديث ورواية الأخبار المتعلقة بأيام العرب في الجاهلية، وبالأدب عامّة وباللغة وال نحو. ولاريب في أن نفرا كثيرين من رواة الحديث واللغة والنحو والادب والتاريخ قد دونوا كثيرا من روایاتهم هذه، وبداؤا ما يمكن ان يكون "حركة تأليف" ولكن لم يصل اليها شيء مما الف في

العصر الاموي على الرغم من أن عدداً من أسماء الكتب قد وصل
إلينا.¹¹

وقال الدكتور عمر فروخ في كتابه "المنهاج الجديد في الادب العربي" بأن الخطابة في العصر الاموي لاتساع حاجة الدولة اليها لتبلغ اوامرها الى الاقطان التي دخلت في الاسلام وفي حكم الدولة الاسلامية، ثم لنشأة طبقة من الرجال الذين مالوا الى الزهد والوعظ.

واحتاجت الدولة الى الكتابة بأوامرها الى اطراف بلادها فنشأ فن الترسّل (كتاب الرسائل)، واصبح للرسائل ديوان خاص بها يسمى ديوان الإنشاء، وهو يشبه الى حد كبير مجلس رئاسة الوزارة في ايامنا، لأن جميع اوامر الدولة كانت تصدر منه.

اما الشعر فقد استعاد في العصر الاموي مقامه الذى كان له في الجاهلية فعاد الهجاء القبلي (الشعر السياسي) الى مثل ما كان عليه في الجاهلية أو أشد لکثرة الاحزاب التي كان اصحابها يطالبون بالخلافة. وقد اتخدت القصيدة (في الهجاء القبلي) شكلا جديدا عرف باسم "النقيبة". وبينما كان الشاعر الجاهلي يقصد في شعره السياسي ان يدافع عن قبيلته، سواء أكان هو يرى رأي

^{١١} عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي، الجزء الأول (الأدب القديم) ص: ٣٦٠.

قبيلته او لا يرى ذلك. اصبح الشاعر الاموي يدافع في نقاشه عن الحزب الذى يدفع له مالا، سواء أكان هذا الحزب موافقا لقبيلة الشاعر في الرأى او مخاصما لها. ثم ان نفرا من الشعراء كانوا ينقلون من مناصرة حزب الى مناصرة حزب آخر، وهذا ما لم يكن يتفق في الجاهلية.^{١٢}

^{١٢} عمر فروخ، المنهج الجديد في الأدب العربي، الجزء الأول، ص: ١١٥